

نفحات القرآن

[354] وسعتهم رحمة الله فقبل توبتهم. ومرة أخرى خدعتهم طنونهم الباطلة فظنوا انهم شعب الله المختار في أرضه (بل أبناء الله)، فأسدلت ستائر العمى والصم والجهل عليهم وطُردوا من رحمة الله تارة أخرى. إن هذه الآية تبين بوضوح ان الطنون الباطلة وخاصة ظن الأمان من عذاب الله يجعل غشاوة على الباصر والمسع ويعطلهما عن العمل. وعلى هذا، فالمراد من "فعموا وضموا" هو أن أعينهم ما بصرت آيات الله والآثار الباقية من الاقوام السالفة، وان آذانهم ما صغت لمواعظ الرسل. وبديهي ان اتباع الظن الباطل لمرة أو مرات لا يترك هذا المردد السلبي في الانسان، بل الاستمرار عليه هو السبب في ذلك. وهناك أقوال في سبب عطف الجملة الثانية على الاولى بـ "ثم" التي تدل على الفاصل الزمني. فقال البعض: إن استعمالها للاشارة الى مصيرين مختلفين لليهود، أحدهما عندما هاجمهم أهل بابل، والثاني عندما هاجمهم الايرانيون والروميون وأسقطوا حكومتهم(1)، وقد جاء شرح ذلك في التفسير الأمثل في بداية سورة بني اسرائيل. وقال البعض: إن الجملة الاولى اشارة الى عهد زكريا ويحيى وعيسى حيث خالفهم اليهود آنذاك، والعبارة الثانية اشارة الى عهد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث أنكروا نبوته ورسالته(2). وقال البعض: إن العبارة الاولى تبين ان الله لعنهم وطردهم من رحمته وأعماهم وأصمهم لأجل ظنهم الباطل من أنهم شعب الله المختار، وقد شملتهم

1 - المنار الجزء 6 الصفحة 481. 2 - وقد ذكر هذا التفسير كاحتمال في تفسير الفخر الرازي الجزء 12 الصفحة 516 وكذا في روح المعاني الجزء 6 الصفحة 184.